الشخصية في رواية (بيت أبي) لآمنة يوسف

The title of the research The character in the novel of My Father House "Bayt Abi

الباحثة :آمنة محمد الهتاري

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة المنطلقة من التحليل السردي إلى الكشف عن الشخصية الروائية في رواية (بيت أبي).

فالشخصية تشكل بنية النص الروائي، وتدير الأحداث وتتحرك في الزمان وعلى المكان، وتشكل بصراعاتها وتناقضاتها لب الرواية.

وقد اعتمدت الدراسة منهجية الدرس البنيوي الشكلاني، الذي مزج بين الشكل والمضمون في مستويات التحليل، والذي يعتبر الشخصية الورقية صورة حقيقيةلشخصية معينة في الواقع الإنساني، ولا يمكن أن تطابقها كل المطابقة، ذلك لأن الشخصية الروائية كما يرى رولان بارت كائن من ورق.

ثم قامت الباحثة بتحليل الشخصية الرئيسية " عائشة" التي احتلت حيزاً كبيراً من الفضاء الروائي، فكانت مصدراً للمعلومات والأفكار والمواقف التي تخصها، حيث كشفت عن ملامحها الذاتية، وبين قدرتها على إبراز حجم معاناتها، وبراعتها في إثارة مشاعر المتلقي ودفعه للتعاطف معها.

وقد تناول البحث مفهوم الشخصية الروائية عند النقاد، واختلاف الرؤى في حصر المفهوم، وانطلاقاً من رؤيتها ووجهة نظرها نتتبع بقية الشخصيات ودورها في الرواية، من خلال الملامح والسمات والأفعال التي تظهر بها على واقع الرواية.

الكلمات المفتاحية : الشخصية في رواية "بيت أبي".

Abstract

The title of the research The character in the novel of My Father House "Bayt Abi"

This study, which is based on narrative analysis, aims to reveal the character in My Father House "Bayt Abi".

The character forms the structure of the narrative text, manages events and moves in time and place, and its form by struggles and contradictions the core of the novel.

The study has adopted the formal structural lesson methodology, which blended the form and the content in the levels of analysis.

Which considers the paper character a real picture of a certain personality in human reality, and not all matches can be matched, because the narrative character, as Roland Barth sees, is a paper object.

Then the researcher analyzed the main character of the novel "Aisha", who occupied a large part of the novel space. She was a source of information, ideas and attitudes that pertain to her, where she revealed her personal characteristics, and her ability to highlight the size of her suffering, and her prowess in arousing the feelings of the recipient and prompted him to sympathize with her.

The research dealt with the concept of the novelist character in the critics, and the difference of visions in restricting the concept.

Based on its vision and point of view, we follow the rest of the characters and their role in the novel, through the features, and actions in which they appear on the reality of the novel.

Key words: the character in "My Father's House" "Bayt Abi"

ISSN : 2410-1818

مفهوم الشخصية الروائية:

تُعد الشخصية إحدى المكونات الحكائية التي تشكل بنية النص الروائي؛ لكونها تمثل العنصر الفعال الذي ينجز الأفعال التي تمتد وتترابط في مسار الحكاية، وقد تداخلت مصطلحات كثيرة لجلاء مفهوم الشخصية الروائية، فظهرت مصطلحات من مثل: الشخص، الشخصية، البطل، الصوت، وغيرها.

ولكن لنا أن نتساءل: هل هي من باب الترادف، بحيث تتداخل وتتمازج، أو بينها عموم وخصوص، أو أنها مصطلحات تتماز عن بعضها بفروق بيِّنة؟

أما المصطلحان الأوليان: (الشخص – الشخصية)، فيميز بينهما عبد الملك مرتاض، فيرى: أن مصطلح (الشخص) وفقاً للمنطق الدلالي للغة العربية الشائعة بين الناس يقتضي أن يكون (الشخص) هو: الفرد المسجل في السجل المدني، وله حالة مدنية، وهو الذي يعيش بين لحظتي الولادة والوفاة الحقيقتين(١)؛ لأن الشخصيات تمثل أشخاصاً، ولكن وفق طرائق خاصة بالتخيل.

أما مصطلحا: (الشخصية) و(البطل)، فالشائع أنه بينهما عموم وخصوص، فيرى أحمد الهواري: أن مصطلح (البطل) منبثق من الشخصية المحورية، "وهي: الصورة التقليدية للبطل في الرواية الحديثة"(٢).

في حين يرى آخرون: أن البطل سمة من سمات العمل الملحمي، الذي يتجاوز بشكل ما شرطه الإنساني، في حين أن الشخصية الروائية تتميز بسماتها الاجتماعية والدينامية والإشكالية، فهي باختصار: شخصية إنسانية ينطبق عليها ما ينطبق على البشر من قوة وضعف؛ لهذا تداول بعض النقاد المعاصرين مصطلح (البطل)، آخذين بعين القصد هذا الفرق، وهو: افتقار البطل المعاصر للسمو المثالي والخوارق العادية التي كان يتصف بها البطل الملحمي، فهو يمثل عندهم الشخصية المحورية التي كان يتصف بها البطل الملحمي، فهو يمثل عندهم الشخصية المحورية أو الرئيسة.

وعلى الرغم مما شهدته الشخصية الروائية على مستوى الإبداع والنقد من تطور وانتشار واهتمام، إلا أن الخلاف في نشأتها كان قديماً ولا يزال، ويرى أرسطو أن الشخصية: "مكوناً واجباً بغيره لا بذاته، فالتمثيلية عنده تتضمن مجموعة من المكونات، وأعظمها: نظم الأعمال، والتراجيديا، ليست محاكاة للأشخاص، بل للأعمال والحياة والتمثيل لا يقصد إلى محاكاة الأخلاق، ولكنه يتناول الأخلاق عن طريق محاكاة الأفعال، فالأفعال والقصة هي: غاية التراجيديات، والغاية هي أعظم شيء"(٣).

ISSN : 2410-1818

فالشخصية عند أرسطو خاضعة كلياً لمفهوم الفعل، و(بروب نحا منحى أرسطو في إهمال مكانة الشخصية كمكون قائم بكليته، والاعتماد على فعلها الذي هو أساس العمل المنجز وقيمته، ولذلك درس الخرافة الشعبية، انطلاقاً من وظائف الشخصيات؛ لكونه يرى أن الوظيفة "هي: قيمة ثابتة، ويكون السؤال عن ماذا تفعل الشخصيات مهماً وحده، أما من يقوم بالفعل، وكيف يفعله، فهما سؤلان لا يوصفان إلا بشكل كمالي"(٤).

وتلعب الشخصية عند (تودوروف) دوراً رئيساً في الأدب الغربي الكلاسيكي، فهي تنظم عناصر الحكي الأخرى، ولكنة استدرك بأن بعض الاتجاهات الحديثة منحتها دوراً ثانوياً، موضحاً أن دراستها تطرح مسائل عدة، لم يجدلها حلاً، وفي معرض دراسته لرواية: (العلاقات الخطيرة)، اقتصر في دراسة هذه البنية على علاقات الشخصية، وقد حصرها بثلاث قواعد، أطلق عليها اسم: مجموعات، تُحدد العلاقات القاعدة، وهي: "الرغبة، والتواصل، والمشاركة"(٥).

كما عدها (بارت) مكوناً يسهم في تكوين بنية النص الروائي "أن التحليل البنيوي، وهو يحرص على ألا يحدد الشخصية باعتبارها جوهراً سيكولوجياً قد عمل عبر فرضيات متباينة على تحديد الشخصية، ليس باعتبارها كائناً وإنما بوصفها مشاركاً"(٦).

وكان لصاحبه (بورنوف) رأي آخر، حيث أكد "أن الشخصية الروائية يمكن فصلها عن العالم الخيالي الذي تنتمي إليه البشر والأشياء، وهي تعيش فينا بكل أبعادها، بواسطة هذه المجموعة وحدها"(٧).

وبالنسبة لي سأنطلق من فهم الشخصية بكونها هي المكون الرئيس في تشكيل بنية النص الروائي، وهي: الإنسان كما نراه في الواقع المرئي؛ لأنها توحد للبعدين الإنساني والأدبي في صورة تخيلية، استمدت وجودها من مكان وزمان معينين، وانصهرت في بنية الكاتبة الفكرية الممزوجة بموهبتها، فوق الفضاء الورقي الأبيض؛ لتسهم في تكوين بنية النص الروائي.

وفي رواية (بيت أبي) أعطت (آمنة يوسف) الشخصية الرئيسة اسماً جميلاً (عائشة)، وهي شخصية نامية متطورة، نقتطف المقطع السردي الآتي كنموذجٍ لذلك:

"– لاااااا، لا تقولي الحاج يوسف، وقولي: عائشة ابنة شوعي، وليس يوسف، أمي وأهلي وأهل القرية يعرفونني بهذا الاسم، حتى أختك شوعية ليست فاطمة، بل شوعية ابنة شوعي!! ولكن المدرسة يخاطبونني بعائشة ابنة الحاج يوسف"(٨).

ISSN : 2410-1818

الاسم في المقطع السردي السابق هو اسم مركب باللقب حدده جنس الراوي بطلة الرواية (عائشة ابنة شوعي)، وهذه التسمية تهدف إلى تمكين المتلقي من الوصول إلى العمق النفسي للشخصية، وتوطيد العلاقة بها، كما حقق الاسم الإيهام بالواقع والحياة اليومية، وتتعرف أكثر على أهم الملامح الخارجية للشخصية الرئيسية (عائشة)، وهي تعيش الرومانسية الحالمة من خلال المقطع السردي الآتي:

"كنت الأميرة في عين من أحببته، وكان المتابعون لقصتي يروونني ملكة جمال بامتياز: فتاة جذابة حين تحدق في عينيها الواسعتين؛ لتكتشف حجم الشبق الذي يسكنهما، وشفتيها المكتنزتين، ووجنتيها التفاحيَّتين، وبشرتها السمراء، اللتين تمزجان اللون القمحي باللون الأصفر الهادئ، وطولها المعقول، وخصرها النحيل، وذكائها المتقد، وصوتها الذي يجذب المستمع إلى بحر من الموسيقى العذبة المثيرة، ليس لهذه الأسباب وحسب، أحببت أستاذي وأحبني، بل لأن الأخبار التي وصلته عني بأنني مثقفة ومتميزة علمياً هو ما شدَّ اهتمامه بي، وأدهشه وأدهش كل من سمع عن مشاركتي في أمسية شعرية حضرها جمهور كبير من المثقفين والمهتمين بالشعر الحداثي المتمرد"(٩).

أسهم السرد الذاتي في المقطع السابق في تقديم الشخصية، وإضاءة جوانبها الخاصة بصراحة واضحة وإثارة متميزة، نظراً لاندماج الراوي بالشخصية، وتقديم ذلك من خلال عيني (عائشة)، وقد اتَّضح من السرد: أنَّ الشخصية الرئيسة تتمتع بعينيين واسعتين تكشفان من خلالهما الشبق، وهذا الشبق يكشف سر حبها الكبير لأستاذها، كما تمتلك شفتان مكتنزتين مع وجنتين تفاحيَّتين، إضافة إلى بشرتها السمراء القمحية ... إلخ، وهذه الملامح الأنثوية تجذب المتلقي لمتابعة البطلة، وتأثيرها على أحداث الرواية، نظراً لطبيعة شخصيتها المنفتحة والمتمردة ثقافياً وأدبياً.

إلى جانب ذلك نجد أنَّ (عائشة) شخصية نامية متطورة مكافحة، جسدت معاناتها في البيت وفي القرية مع أسرتها، وعادت إلى الوطن عام: (١٩٩١م)، نتيجة اندلاع حرب الخليج الثانية، خصوصاً عقب صدور قرار من ا لسعودية بنظام الكفالة للمغترب اليمني، ولم تعد إلى قريتها مع أسرتها، بل ذهبت إلى العاصمة صنعاء؛ لتحقيق أحلامها ودراسة الماجستير والدكتوراه، والتدريس في جامعة صنعاء، وقد حققت بموهبتها وشجاعتها وثقتها بنفسها ما تريده، نقدم المقطع السردي تأكيداً لما سبق ذكره:

"تعييني معيدة، العمل على رفع مكانتي الأدبية بنشر قصائدي وقصصي التي كنت أكتبها عنه، الإشراف على رسالتي للماجستير والدكتوراه اللتين تفوقت فيهما وحصلت على تقدير ممتاز، وكان قد ناقشني فيها أساتذة أجلاَّء، وعلماء مرموقون دولياً من خارج اليمن؛ لتميزي الذي يحسدني عليه الآخرون من حولي، وهم يرون أنني كمن يناقش في جامعات العالم المتميزة، أضف

ISSN : 2410-1818

غلى ذلك إعطائي فرصة السفر والمشاركة في المؤتمرات الخارجية، والمهرجانات الدولية، ...، ...، ...، ...!!"(١٠).

وتعيش (عائشة) حياة الرعب في جوٍ مليء بالخوف من الأرواح والأشباح، مما يجعل القارئ يتابع أحداث الرواية بشغف وخوف، كأنه يشاهد فلماً سينمائياً مرعباً، نقدم النموذج الآتي لذلك: "حين غابت الشمس عدت إلى البيت، استكملت بكائي الذي لم يتوقف لحظة واحدة، كانت الدنيا تضيق بعينيَّ المنهمرتين بالبكاء، حتى تعبت ونمت من دون أن أرغب في طعام ولا شراب، نمت كالمستسلم لما سوف يضيفه لي القدر من الآلام والأحزان، وما هي إلا سويعات كان الظلام فيها موحشاً ومهيمناً على غرفتي المغلقة، وإذا بي أرى على حافة سريري شبحاً مخلوقاً من النور والنار، يتخذ هيئة إنسان يهتز من شدة الضوء الشبيه بالبرق، وقبل أن أتيبس وألتصق خوفاً بفراشي طار الشبح في أنحاء الغرفة، ثم التصق بجسدي تماماً، مثل شحنة كهربائية مكثفة للغاية، ولم أقوَ معها على مجرد الهمس وذكر اللّه الحافظ المعين"(١١).

يكشف المقطع السردي السابق صراع البطلة مع الأشباح الليلية وعالم اللاوعي، بصفتها امراة تحيا في مجتمع تقليدي تثور ضده بشعرها المتمرد، وتعلن استقلاليتها، فتصدم بعالم الاشباح، وبدأت في المواجهة والدفاع عن النفس، فنجدها ترسم شخصية الشبح المخيف العدواني، فهو مخلوق من نور ونار، وعلى هيئة إنسان، يهتز من شدة الضوء، يطير ويلتصق بها، يريد بها الأذى، وهذا المقطع السردي الخيالي يخلق مشهداً مثيراً لمتابعة طبيعة هذا الشبح، وعلاقته بالبطلة، وتأثيره على سلامتها النفسية والذهنية، ونتيجة لطموحها العنيد في ظل تقاليد ثقافية واجتماعية صارمة، فهي تعيش حالة نفسية خاصة بها تتمحور حول ذاتها، مما يجعلها تعيش عالمين لم تستطع أن تتعامل مع الواقع وتتأقلم معه، كما أنها لم تستطع أن تحد من طموح وجنون موهبتها، فحدث صراح إيدلوجي بين (عائشة) وبين الآخر الرافض لها، نقدم المقطع السردي الآتي كنموذج لذلك:

- إذا تُبتِ عن تمردك الديني توبة نصوحاً تؤهلك لأن تكوني معنا في حزبنا الديني القويم، سنذ للَّ أمامك كل الصعوبات، ونحقق لك ما تتمنيه، بل إننا سوف نزوجك بمن تردين من أعضاء حزبنا وغلمانه، سنزوجك شاباً يافعاً، طويلاً عريض المنكبين، إذا رأيتيه ستقطعين أصابعك من حسنه وبهائه، سنزوجك بشاب يخاف اللّه وجحيمه، ويحب الجنة وجواريها وكنوزها وذهبها وعسلها ولبنها، ...، ...، ... إلخ.
- وإذا رفضت يا دكتور؟!!!
- إذا رفضت بعد هذه الفرصة الذهبية التي ستفتح لك أبواب السعادة والنجاح، فلا تلومينا على ما سنتخذه من إجراءات تجعلك في أسفل السافلين!!(١٢).

ISSN : 2410-1818

يكشف المقطع السردي السابق أنواع التهديد التي تعرضت له (عائشة) بسبب فكرها التحرري الأدبي في مجتمع تقليدي قديم، ونتج عن ذلك صراع إيدلوجي بينها وبين الآخرين الرافض لها، وبدأ التهديد بأسلوب الترغيب، وذلك بزواجها بشاب وسيم يخاف الله وجحيمه، ثم يواصل أستاذها الدكتور التهديد بأسلوب الترهيب، وإيقاع الأذى بها، وتحديد مصيرها في أسفل السافلين، وقد حظيت شخصية (عائشة) باهتمام أستاذها وإعجابه بها، فتعلقت به؛ لتتجاوز كل المحيطين بها، وأحبته حباً عذرياً، نقدم مقطعاً سردياً يصور تلك العلاقة الرومانسية:

- "لا عليك .. لا عليك، سيتمّ تعيينك معيدة، وسأشرف عليك في رسالتك للماجستير والدكتوراه، لن يتمكنوا من استقطابك؛ لأنك تملكين وعياً يتفوق على أطماعهم السريعة، لا تستعجلي .. لا تستعجلي، أنا معك، ولن أتخلّى عنك أبداً.
- وقتها لم أدر ما الذي حدث لي، بعد أن ذرفت شلالاً من الدموع، تيبست في مكاني من دون أن أقوى على القيام وطلب الاستئذان، وكان هو أيضاً متيبساً في الكرسي الذي يقابلني، كلانا طأطأ رأسه قبل أن تفضحه عيناه، ووجدتني أتماسك تدريجياً، وأتغلب على ضعفي أمامه بطلب الاستئذان، حتى تمكنت من الخروج إلى الشارع، وهو واقف يتأملني من دون أن نحسب حساباً للجواسيس والمحيطين الذين تيبَّسوا من دون أن يتفوَّه أحد منهم بشيء غير الابتسامة والدهشة!! لأجدني أعلن لكل الناس بيني وبين نفسي بأنني أحبه .. أحبه .. أحبه!!"(١٣).

يكشف المقطع السردي السابق الرومانسية الحالمة التي تعشها (عائشة) في إطار تشكيل اجتماعي يقمع العلاقات العاطفية، كما يكشف المقطع السردي أهم الملامح الداخلية للبطلة، فهي تتمتع بروح رقيقة حساسة أدت إلى ذرف دموعها الغزيرة، بسبب عاطفتها القوية تجاه أستاذها الحبيب التي تعترف بحبها له، وقد أثار المقطع السردي السابق حفيظة القارئ وإحساسه وتركه فرسية لاحتمالات وأسئلة أهم هذه الأسئلة: ما هي نهاية هذه الحب العذري؟! هل ستتزوج عائشة أستاذها؟!

وفي ضوء ما سبق يتأكد لنا أن الشخصية (عائشة) رومانسية مبدعة طموحة متحررة جريئة، فهي تعيش في صراع مع الزمان والمكان، أو مع الذات ونفسها نتيجة الواقع وطموحها المستقبلي عبر نسيج فني متميز له قدرة المحاكاة والجذب في إطارها المجتمعي وتقاليده المختلفة تجاه الحب والعاطفة والاهتمام المتبادل بين الرجل والمرأة.

استخدمت الروائية (آمنة يوسف) المزاوجة بين الماضي والحاضر؛ لتقديم الخلفية النفسية والتاريخية للأحداث الماضية برؤية حاضرة، أي: تحرير الماضي ومساعدته في تفسير الحاضر، وبهذا البناء جعلت الشخصيات تتمحور حول الزمن تبعاً لتذبذبه، اعتمدت فيه على الرمز وتدفق الذكريات

ISSN : 2410-1818

عن طريق الاسترجاع في تيار الوعي (فلاش باك)، وهذا الأسلوب الجديد الذي يوحي بالغموض، مع رؤية تتناسب مع الشخصيات الخيالية التي ترتبط بالواقع، مثل: شخصية الأستاذ الدكتور الذي يحيط نفسه بهالة من الوقار والهدوء، حتى لا تنكشف عواطفه تجاه طالبته الجريئة في مجتمع يدين الرومانسية بين الرجل والمرأة دون رابط شرعي، ونتعرف أكثر على شخصية الأستاذ الدكتور حبيب عائشة من خلال المقطع السردي الآتي:

"حين دخلت مكتبه كان مستعداً بكلام أرهق نفسه ليحفظه ويلقي به في وجهي، التفت إليَّ بالقول فوراً: مبارك لك قبولك أستاذة جامعية، وهناك مناسبة عائلية أتمنى أن تحضريها، وهذه الدعوة لك، بعد أسبوعين سوف نزفُّ حفيدتنا بشرى إلى زوجها عبد الله، هل تفهمين يا صغيرتي؟! هل تفهمين؟!!"(١٤).

يكشف المقطع السردي السابق أن البطلة تعيش حالة حب من طرف واحد، أما أستاذها الدكتور فهو يعيش عالمه الخاص به، وهو يهتم بعائلته، وهو يدعوها إلى حضور زفاف حفيدته بشرى، محاولاً بذلك إقناع (عائشة) باستحالة تبادل المشاعر والعواطف التي تزعزع استقرار حياته الأسرية بشرى.

إن موت والد عائشة الحاج شوعي ترك في أعماق روحها جرحاً نفسياً كبيراً لم تبرأ منه أبداً، ويتضح ذلك من خلال المقطع السردي الآتي في السطر الأول من الرواية:

"رحمة الله تحفّك يا أبي! ها أنت تحطُّ رحالك أخيراً في بيتك الأبدي جوار قبر أمك، مثلما اخترت أنت لروحك أن تسكن وأن تستقرَّ في وصيتك التي تفوَّهت بها قبل أن تدخل غرفة العمليات وتصمت تماماً"(١٥).

بدأت رواية (بيت أبي) بالترحم والتحسر على (الأب شوعي) وهذا يجرّنا إلى التعرف على شخصية الأب من خلال رؤية عائشة الساردة لمسار الأحداث وفقاً لتقنيات السرد الحديثة التي اتكأت عليها الكاتبة للولوج إلى عالم هذه الرواية، ونتعرف على أهم ملامح الأب من خلال المقطع السردي الآتي:

"هل تتذكر ...؟! هل تتذكر، يا أبي ...؟! حين فاجأتني ذات مرة، كنت قد وصلت فيها إلى الصف الأول ثانوي، وهي من أصعب المراحل الدراسية التي يتم فيها دراسة كل المواد الأدبية والعلمية، قبل أن ينتقل الطالب بعدها إلى صف الثاني ثانوي، وقد حدَّد القسم الذي يريده، هل تتذكر ماذا حدث في تلك المرة من ذكرياتي معك؟!! دخلت يا أبي مكفهرَّ الوجه، أحمر العينين، كأنك تنوي غسل العار الذي تخيلته في شخصي أنا، والذي لم يعد ممكناً تركه بلا حساب ولا

ISSN : 2410-1818

عقاب، هذا ما فهمته يا أبي حين حدقت بوجهك للوهلة الأولى!! ومن غير مقدمات هجمت على دفاتري وكتبي وأخذت تمزقها يميناً وشمالاً وأنت تحدِّث نفسك بصوت مرتفع، قائلاً: كيف ضحكت أختك شوعية عليَّ قبل أن أزوجها وأطمئن على نقصان عددكن في ميزان مالي، الذي أفنيت قوتي وشبابي لكي أتمتع به من دون منغصات سببها أنتنَّ الحريم اللائي التصقت سمعتي بلا جدوى ورعايتهنَّ، كلما أردت الاستمتاع بمالي وبعمري؟! وقبل أن أتفوّه بأية كلمة؟ هجمت عليّ بالصفعات تلو الصفعات حتى سقطت مغشياً عليّ؛ لأراني حين فقت على سرير المستشفى"(١٦).

يكشف المقطع السردي السابق أهم الملامح الداخلية للأب، وهي: القسوة على ابنته بطلة الرواية (عائشة) من خلال سلوكه العنيف بالصراخ والضرب والسب والشتم، وقد اعترفت (عائشة) بالحادثة التي ألمت بها، وأدت إلى دخولها المستشفى، وأبرزت حجم معاناتها وبراعتها في إثارة مشاعر المتلقي، والتعاطف مع (عائشة) أثناء سير الأحداث، وفي مقطع سردي آخر تجسد البطلة أيضاً قسوة الأب على نفسه إلى آخر لحظة في حياته:

"كل هذه المدة يا أبي! وأنت صابر على جحيم الذبحة الصدرية! حتى نفسك لم تنج من قسوتك، لماذا لَم تخبر أحداً بمرضك؟! لماذا خبأت هذه المرض عني أنا؟! وأنت من تقول لكل الناس: إنني أفضل ذريتك؛ لأنني أتصف بالرحمة والعطف، وإنني أهل لكل من استنجد بي، حتى ظننت أنك أنت من اخترع فكرة أنني قبيحة، ولذلك لم أكن صالحة للزواج رغبة في أن أكون بقربك طوال عمري!! لكن، قل لي يا أبي: لماذا قسوت على نفسك التي تحبها كثيراً كما كنا نفهم ذلك؟!!"(١٧).

يصور المقطع السردي السابق شدة قسوة الأب (شوعي) على نفسه التي يجب أن يحبها ويحافظ عليها، وهذا المقطع يكشف الملامح الداخلية لشخصية (الأب) وهي تتمثل في العجز عن مسايرة الواقع ومعاداة الخارج، فضلاً عن الشعور الدائم بالاضطهاد، والرفض التام لكل المواصفات المتعارف عليها، مع نمو متزايد للقسوة بين مكونات العالم الداخلي للشخصية، وقد تجلت هذه القسوة على نفسه وعلى أسرته التي تعيش معه، وهناك دوافع نفسية واجتماعية في تشكل شخصية الأب (شوعي)، أهمها: الجانب الأسري منذ مرحلة الطفولة، حين تخلت والدته عنه، وكتبت ملكية الأرض باسم أولادها من الرجل الثاني، إضافة إلى الغربة من أجل البحث عن لقمة العيش، وكل هذه الظروف أدت إلى تكوين هذه الشخصية القاسية، كما نقدم مقطع سردي يصور علاقة (شوعي) مع أخيه (قوسم):

- "أرض!! أية أرض لك عندنا، يا شوعي؟!! أبوك المجرم كان يكره أمي، وكان يضربها ليل نهار، وهي التي كانت تعمل في حراثة الأرض وزراعتها وبيع حصادها؛ لذلك فإنها هي من

ISSN : 2410-1818

تستحق أن يملك الأرض، ويملكها أبناؤها الذي يفقهون في الحفاظ على الأرض، وأبناؤها نحن يا شوعي ولست أنت! نحن وأبناؤنا وأحفادنا أيضاً.

- أنا وأبنائي نريد أن نعمل في أرض والدي الذي سبقه الموت قبل أن يطمئن عليَّ.
- أنت ومن؟! الأرض الآن ملكي أنا وأخواتي من أبينا.
- كيف الملك لكم؟!
- أمنا، اللّه يرحمها عملت اللازم، وحججت لنا بالأرض التي ورثتها وكتبتها باسمنا"(١٨).

يوضح المقطع السردي السابق مدى سوء التفكك الأسري والعاطفي في حياة (الأب شوعي)، فهو يصارع أخوة جائرة مستغلة، أخذت حقوقه وأرضه دون وجه حق، بالإضافة إلى وجود الصراع الداخلي والنفسي الذي يعيشه تجاه كل هذه الأحداث، وقد تغاضى عن هذا الظلم الأسري وتركه، واتخذ الفراق والغربة ملاذاً له ومصيراً لعائلته المكونة من الزوجة وتسعة من البنيين والبنات.

وتطل علينا شخصية (جبرية) أم البطلة (عائشة) التي تتحمل قسوة الزوج (شوعي) من أجل أبنائها، وتعيش حياتها تحت سيطرة الأب، فلا تجد السكينة والمودة والانسجام مع زوجها، فضلاً عن شعورها الدائم بالاضطهاد، نقدم المقطع السردي الآتي كنموذجٍ لذلك:

- "ما الأمر يا شوعي؟!!
- هاتي المائة ريال يا جُبريَّة بسرعة قبل أن تفيض حممي البركانية!
- أنا أحتاجها أكثر منك.
- أيتها العاصية الويل لك، يا كافرة، تعصين زوجك؟
- هيا اسجدي لي قبل أن تحل بك لعنتي ولعنة اللّه ولعنة الملائكة أجمعين!!
- أرجوك يا زوجي الحبيب، أرجوك ضع المائة قليلاً عندي، أتأمل فيها وأتعلم التمييز بينها وبين الريال، دعني قليلاً أضعها فوق شعري، أو تحت وسادتي، أو ..، ولم تكمل المسكينة هذيانها إلا على عصاتك الغليظة التي انهالت على جسدها النحيل جداً بالضرب المبرح، حتى أغمي عليها تماماً فوق تراب الحوش"(١٩).

يكشف الحوار السابق بين الزوج (شوعي) والزوجة (جُبرية) جبروت الزوج وقسوته الحادة على زوجته، كما تتكشف أهم الملامح الداخلية التي يتصف بها، فهو شخصية مستبدة وعنيفة أمام زوجته وشريكة حياته وأم أولاده، أيضاً تتكشف أهم الملامح الداخلية للزوجة (جبرية) فهي شخصية مسالمة صبورة تلقائية تثير غضب زوجها بأفعالها التلقائية، مما يؤدي إلى ضربها وأذيتها جسمياً ونفسياً وعاطفياً.

ISSN : 2410-1818

وعلاقة (جُبرية) بزوجها (شوعي) هي علاقة هرمية تبنى على الطاعة العمياء، أساسها القوة الجسدية، وهي تستخدم في استغلال الشخصيات الخاضعة لها بسبب ما تقوله وتفعله، فالرجل هو المالك السيد، والمرأة هي المملوكة، وهذه الأيدلوجية ما هي إلا امتداد لصورة الواقع المجتمعي، ورؤيته للرجل السيد الذي يكون قاسياً أو رحيماً بزوجته، حيث تكمن علاقة جدلية، أي علاقة تملك وسيطرة من طرف الرجل ورضوخ واستسلام من الطرف الآخر.

ونتعرف على أخو البطلة (محمد) العاشق المجنون، فهو النقيض المغاير لشخصية (عائشة) القوية الناجحة في حياتها العلمية، لقد كان (محمد) ضحية الظروف الأسرية القاسية والمعيشية التي تحيط به، فهو يتمتع بالذكاء ودماثة الخلق والأصالة والانتماء إلى الطابع الريفي، لقد هام بحب ابنة عمته الريفية التهامية إلى حد الجنون، وهو يعيش حياته المدنية قبل أن يراها، وهو بهذا الحب اللامعقول يتحول إلى مجنون يعيش وحيداً في بيت أبيه الريفي، نقدم المقطع السردي الآتي كنموذجٍ لذلك:

"هل تتذكر ..؟! هل تتذكر يا أبي ..؟! محمد أخي الذي يكبرني بثمان سنوات، لم يمت يا أبي جسداً، لكنه مات روحاً في حياتك ومن بعد رحيلك الأبدي، قعادته في الحوش هي رفيقته الوحيدة، التي تجاور قعادتك التي هجرتها وتركت محمداً يتخذ من تأملها أسلوب الوقوف على الطلل والبكاء غير المرئي"(٢٠).

وفي مقطع سردي آخر تجسد (عائشة) حالة (محمد) العاطفية، وهي تسترجع الماضي:

"منذ تلك الليلة ومحمد هائم في عالم الحب من أول نظرة، تارة يلتقي بأسماء في المزرعة، وأخرى يشاهدها في المراعي، وثالثة في عشة عمتنا خديجة التي كانت قد فهمت ما يتبادله العاشقان من نظرات وهمس ووعود، داعية لهما بالحظ والسعادة.

هل تتذكر ..؟! هل تتذكر يا أبي ..؟! كيف كنت غائباً عن أجواء محمد العاطفية، مهموماً بالأرض التي تتمنى أن تحصل عليها، وأن تنتقم لنفسك ولأبيك ممن ظلموه حتى لو كان العدو أمك؟!"(٢١).

تعكس المقاطع السردية السابقة شخصية (محمد) الرومانسية المعذبة تجاه الواقع، فهو يعيش عالمه العاطفي بصدق ومثالية، فهو لم يعترف بالحاضر والظروف المعيشية التي يعيشها، واستمر يعيش في ماضيه العاطفي، لقد جعل (محمد) الماضي حاضراً ومستقبلاً، فهو يعيش في بيت أبيه القروي، ولم يحاول الخروج منه والاندماج في المجتمع الذي يعيش فيه، والأسباب الرئيسة التي أدت به إلى هذه الحالة، وهي: قسوة الأب، والغربة، وحبه لابنة عمته الجميلة، ثم زواجها برجل آخر، ثم

ISSN : 2410-1818

موتها، فكل هذه الأحداث المأساوية جعلته يرفض الواقع المؤلم، فحولته من عاقل إلى مجنون، وهو بذلك يختار مصيره، ويتحمل مسؤولية هذا الاختيار والاستسلام، فهو ضحية قدرته على الاختيار، وهو يعلم أن قراره هذا يقوده إلى الجنون، والعيش وحيداً في الظلام، إلا أن روح (محمد) تظل في حاجة إلى الانعتاق من الآلام، والعيش في عالم جديد طاهر، ونقتطف مقطعاً سردياً آخر يؤكد جنون (محمد) الأبدي:

- "محمد جُنَّ .. محمد جُنَّ، أتفهم .. أتفهم؟! جُنَّ وقد تماديت في غيِّك، أيها المجنون وأبو المجنون، سأدخل ابنك الجالس على الرصيف كي نتفاهم معه إن استطعت، أما أنا فسأنفد من بذاءة لسانك الطويل، إلى غير رجعة أيها الغبيُّ القبيح!! وعلى غير المتوقع دخل محمد، وكان صامتاً تماماً ومبتسماً لعالم غير عالمنا، كحالته حين خرج من السجن، ترى ماذا صنعوا بابني (صرخت أمي)، ماذا فعلوا بك يا أخي الحبيب؟! (صرخت فيه وأنا أهز كتفيه، دون جدوى!!)"(٢٢).

يؤكد المقطع السردي السابق جنون شخصية (محمد) من خلال الملامح الخارجية، وهي: الجلوس على الرصيف، والصمت والابتسامة غير المفهومة لعالم خاص به، يعيش فيه دون غيره وفقاً لما يريده، فهو ضحية تفتت العلاقة الأسرية، إضافةٍ إلى الفشل العاطفي، وعدم زواجه بالفتاة التي يحبها، لقد كانت شخصية (محمد) هامشية في العائلة، بسبب قوة شخصية الأب (شوعي) وتسلطه على الأسرة، وهكذا تتحول رابطة الأبوة من رابطة عطف ومحبة إلى رابطة تسلط وخوف، مما يؤثر على تشكيل شخصية (محمد) المستسلمة، والتي تفتقد رموز القوة والحماية في شخص الأب، وربما يرجع ذلك إلى طريقة التفكير البدائي للطفل الذي يستند على الأب القوي والقادر على تحقيق الأماني.

واهتمت الساردة (عائشة) برسم شخصية (أسماء) حبيبة أخيها (محمد)، والتي كانت سبباً في جنونه وفقدانه عقله، نقتطف المقطع السردي الآتي كنموذجٍ لذلك:

"وصل محمد إلى باب العشة الخاصة بعمتي، حتى لمح ابنتها أسماء وهي تسرح شعرها الهندي الطويل، فبهت وأصابه البله من روعة ما شاهد، وما وقع في النفس والوجدان: شاهد أسماء، فتاة في الاثني عشر عاماً من زهور عمرها الصغير وعنفوانها الذي ينم عن فتاة ناضجة تماماً، فتاة ذات قوام ممشوق، ترتدي صدرية وفوطة مزكرشة، كالتي ترتديها بنات الهند والسند، صدرها اليافع الصغير لا يخلو من شموخ وجمال، ورقبتها اللامعة تطوقها قلادة من الفضة والخرز المحلي، وعيناها الواسعتان تمتلأن بالمرح وبالشجاعة والرغبة في فارس لعله يفتح لهذا السحر بابه ونوافذه"(٢٣).

ISSN : 2410-1818

وصفت الساردة (عائشة) الملامح الخارجية لشخصية (أسماء) بدقة ووضوح، تهدف بذلك إلى تبيان أثرها في وجدان (محمد)، فتجلت بهذا الشكل التصويري الأخَّاذ: فتاة في الاثني عشر، صغيرة السن، ناضجة الجسم، ذات قوام ممشوق، ترتدي صدرية وفوطة مزكرشة، كالتي ترتديها بنات الهند والسند، وصدرها يافع صغير فيه شموخ وجمال، مع رقبة لامعة تطوقها قلادة من الفضة والخرز المحلي، وعيناها الواسعتان تمتلان بالمرح والشجاعة والرغبة، وبهذه الصفات النادرة تميزت شخصية (أسماء) عن بقية شخصيات الرواية بالجمال والفتنة والشباب والمرح و... إلخ.

والمقطع السردي السابق يمثل صورة بصرية لأول لقاء بين (محمد) و(أسماء)، ويؤكد للمسرود أن الحالة التي رآها (محمد) كانت مؤثرة على عواطفه الرومانسية، فتغيرت حالته الوجدانية حيث تجلت فيها مشاعر العشق والجنون، والهروب من الواقع، فهذا الاستقصاء التفصيلي لملامح (أسماء) الخارجية يأتي من خلال عيني (محمد) اللتين تتابعان وتدققان في ملامح المحبوبة لأول مرة رآها، وبهذا الوصف للشخصيات يكون الراوي (عائشة) نجح في إقناع القارئ بواقعية ما يقرأ، على الرغم من أنه ليس كذلك.

وهناك شخصيات هامشية في رواية (بيت أبي) لا تشكل انحرافاً في سير الأحداث، وهي مستسلمة لحركة المجتمع وفعله منها:

الطيب الجراح، العمة خديجة، عم عمر صاحب البقالة، الصديقة شذي ... إلخ.

ISSN : 2410-1818

الهوامش:

١ - عبد الملك مرتاض: (في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد)، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠)، الكويت، ديسمبر ١٩٩٨م.

٢ - أحمد إبراهيم الهواري: (البطل المحاصر في الرواية المصرية الحديثة)، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م.

٣ - أرسطو طاليس: (فن الشعر)، ترجمة: منى بن يونس، د. شكي عياد، الشركة المغاربية للناشرين المتحدين، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٤ - فلاديمبر بروب، مورفولوجية: (الخرافة)، ترجمة: إبراهيم الخطيب، الشركة المغاربية للناشرين المتحدين، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٥ - تزفيتان تودوروف: (الآدب والدلالة)، ترجمة: نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٦ - رولان بارت: (التحليل البنيوي للسرد)، ترجمة: حسن بحرواي، بشير القمري، عبد الحميد عقار، آفاق، اتحاد كتاب المغرب الرباط، ٨٤، ٩، ١٩٨٨م.

٧ - رولان بورنوف، أو نيليه وريال: (عالم الرواية)، ترجمة: نهاد التكرلي، مراجعة: فؤاد التكرلي، د. محسن الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٨ - آمنة يوسف: (بيت أبي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

٩ - ينظر نفسه.

١٠ - ينظر نفسه.

١١ - ينظر نفسه.

١٢ - ينظر نفسه.

١٣ - ينظر نفسه.

١٤ - ينظر نفسه ٦٨، ٦٩.

١٥ - ينظر نفسه ٧.

١٦ - ينظر نفسه ٧٨، ٧٩.

١٧ - ينظر نفسه ٤٣، ٤٤.

ISSN : 2410-1818

١٨ - ينظر نفسه ١٧، ١٨.

١٩ - ينظر نفسه ١٢، ١٣.

٢٠ - ينظر نفسه ١٥.

٢١ - ينظر نفسه ٢٢.

٢٢ - ينظر نفسه ٢٩.

٢٣ - ينظر نفسه ١٩، ٢٠.